الآيات من 109 - 110

من أهداف اليهود إخراج المسلمين من دينهم

موقف أهل الكتاب من المؤمنين وكيفيّة الردّ عليه

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (١٠٩): نزلت في نفر من اليهود... قالوا لحذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر بعد وقعة أحد: ألم تريا ما أصابكم ولو كنتم على الحقّ ما هزمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل، ونحن أهدى منكم سبيلًا، فقالوا لهم: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: شديد.

قال: فإنّي قد عاهدت ألّا أكفر بمحمّد ﷺ ما عشت. فقالت اليهود: أمّا هذا فقد صبر، وقال حذيفة: وأمّا أنا فقد رضيت بالله ربًّا وبمحمّد نبيًّا وبالإسلام دينًا، وبالقرآن إمامًا وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانًا.

ثمّ أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بذلك فقال: «أصبتُما الخَيرَ وأفلَحتُما». فأنزل الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ الآية، أي تمنّى وأراد كثير من اليهود [١].

المناسبة العامّة للآية (١٠٩): عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: كان حُيَيّ بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشدّ اليهود للعرب حسدًا، إذ خصّهم الله برسوله ﷺ، وكانا جاهِدَين في ردّ النّاس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾ [٢].

المعنى العام

بعد أن بيّن تعالى للمسلمين في الآيات السّابقة أنّ أهل الكتاب- من اليهود والنّصارى- والمشركين لا يحبّون أن يختصّ الله المسلمين بخير من عنده، وبعد أن نهاهم عن الاستماع لنصحهم وأمر برفض آرائهم، ذكر هنا وجه العلّة، وهي أنّهم يحسدون المسلمين على نعمة الإسلام ويتمنّون أن يحرموا منها، فهم لا يكتفون بكفرهم بالنّبيّ ﷺ والكيد له ونقض العهود، وإنّما يتمنّون أن يرتدّ المسلمون عن دينهم [٣]. كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [٤]. العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

إعلم يقينًا أنّ اليهود يريدون أن تكون من المسلمين البروتستانت- protestane-، وهي نسخة جديدة من الإسلام على زعمهم، إذ ليس هدفهم التّنصير ولا التّهويد فهم لا يحبّون الخير للعباد، مع أنّنا نحبّ لهم الإسلام. فهمّهم الوحيد أن

(١) ذكره الثعلبيّ في تفسيره، باب: سورة البقرة، الآيتان: ١٠٨- ١٠٩، (١/: ٢٥٧).
(٢) ذكره الطبريّ في تفسيره، باب: تأويل قوله تعالى: ودّ كثير من أهل الكتاب، (٤١٩/٢).
(٣) انظر، الزحيليّ في التفسير المنير، باب: التفسير والبيان، (٢٧٠/١).
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

يخرجوك من دينك لتخسر الدّنيا والآخرة. أمّا خسارة الدّنيا فلأنّهم يريدون أن يسيطروا عليها، وأمّا خسارة الآخرة فحسدًا منهم وبغضًا.

واعلم أنّ الدّجال دينه العلمانيّة. فهو لا يريدنا أن نتّبع الإسلام، وما الدّعوى الى الدّين الإبراهيميّ إلّا لإخراج النّاس من دينهم، إذ أنّ سيّدنا ابراهيم عليه السّلام كان حنيفًا مسلمًا بنصّ القرآن الكريم وهو الذي دعا لرسول الله ﷺ. فقد جاء عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُمْ قَالُوا: "يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ: ﴿دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ بُصْرَى﴾[1] وَبُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ.

دعوة سيّدنا إبراهيم عليه السلام: عندما شرع إبراهيم عليه السلام في رفع قواعد البيت- الكعبة-، دعا الله تعالى أن يجعل مكّة بلدًا آمنًا، وأن يرزق أهلها من الثّمرات والطّيّبات، فقال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2]، فاستجاب الله ﷻ دعوته، وبعث في الأمّيّين (العرب) رسولًا منهم.

يقول الحقّ ﷻ في التّحذير من اليهود وغيرهم من الكفّار: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ أي تمنّى الذين كفروا من أهل الكتاب وغيرهم لو يصرفونكم عن دينكم ويردّونكم من بعد إيمانكم بنبيّكم كفارًا ضالّين، كما كنتم قبل الدّخول فيه، ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ وذلك حسدًا من تلقاء أنفسهم وغيرة أن تكون النّبوّة في غيرهم، ﴿مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ وذلك من بعد ما تبيّن لهم الحقّ وعرفوه كما يعرفون أبناءهم، ﴿فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ﴾ فاعفوا عن عتابهم، وأعرضوا عن تشغيبهم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ فيهم بالقتل والجلاء. ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ له تعالى القدرة على كلّ شيء، ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ واشتغلوا بما كلّفكم به من أداء حقوق العبوديّة، والقيام بوظائف الرّبوبيّة، بإتقان الصّلاة وأداء الزّكاة، واعلموا أنّ الله لا يضيع من أعمالكم شيئًا، ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ﴾ فما تقدّموا لأنفسكم ليوم فقركم تجدوه عند الله خيرًا وأعظم أجرًا، ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ إنّ الله لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وأحوالكم.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ﴾ يحثّهم تعالى على الاشتغال بما ينفعهم، وتعود عليهم عاقبته يوم القيامة، من إقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة، حتّى يمكّن الله لهم النّصر في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[3] ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فالله لا يغفل عن عمل عامل، ولا يضيع لديه مثقال ذرّة سواء كان خيرًا أم شرًّا، فإنّه يجازي كلّ عامل بعمله.

وهذا الكلام وإن كان قد خرج مخرج الخبر، فإنّ فيه وعدًا ووعيدًا، وأمرًا وزجرًا، ذلك أنّه أعلم القوم أنّه بصير بجميع أعمالهم ليجدّوا في طاعته، إذ كان ذلك مذخورًا لهم عنده، حتّى يثيبهم عليه، وليحذروا معصيته، فإنّه ﴿بَصِيرٌ﴾ لا تخفى عليه خافية ظاهرة أو باطنة.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، عن أبي إسحاق، عن أصحاب رسول الله ﷺ، كتاب: تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب: ذكر أخبار سيّد المرسلين وخاتم النّبيّين محمّد بن عبد الله، حديث رقم: ٤١٧٤، وإسناده صحيح.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

(٣) سورة غافر، الآية: ٥٢.

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. يعلم اليهود ومن والاهم أنّ دين الإسلام حقّ، فحملهم ذلك على حسد المسلمين ثمّ عداوتهم، والعمل على تكفيرهم. إنّ من أهمّ أهداف الدّجال وأعوانه من اليهود إخراج المسلمين عن دينهم وليس همّهم التّنصير ولا التّهويد. فالدّجال لا يستطيع أن ينفّذ مخطّطه، إذا تمسّك المسلمون بعقيدتهم، وحافظوا على قيمهم وسلوكهم، لأنّ الله سينصرهم لذا لا بدّ من الدّجال من إخراجهم من دينهم، كما فعل بتحريف إنجيل عيسى، وإخراج سكّان أوروبا من النّصرانية، إلى الإلحاد والعلمانيّة، كي يتمكّن وأعوانه من بثّ سمومهم، وإحكام قبضتهم على مقاليد الحياة الدّنيا.

٢. خطوات الشّيطان المتّبعة في الأفلام وعموم الميديا من وسائل الإعلام والتّواصل الاجتماعيّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] لذا نشروا الرّبا بين النّاس، فالآكل من الرّبا عون لهم على تنفيذ مآربهم.

٣. يودّ اليهود ومن والاهم انحراف المسلمين عن دينهم؛ كما أخبر القرآن بذلك، ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾. فاحذر منهم كلّ الحذر. احذر على دينك ودين أولادك من مدارسهم وجامعاتهم ووسائل إعلامهم، التي تبثّ فيهم حبّ الهوى واتّباع الدّنيا، والتّشكيك بأصول الدّين وفروعه. فإنّ الله تعالى قد أخبرك بنواياهم إلى قيام السّاعة. تخيّل أنّك تدخل أولادك الى مستشفى صاحبها يريد قتلهم.

٤. تمسّك المسلمون بدينهم سبيل لتحقيق النصر: إذا التزم المسلمون بدينهم من خلال إقامة الصّلاة بانتظام، وأداء الزكاة، والإنفاق في سبيل الله، فلن يتمكن أعداؤهم من تحقيق أهدافهم.

٥. إنفاق أموال أعداء الإسلام لن يُجديهم نفعًا: كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ولكنهم في النهاية سيُهزمون.

٦. أعمال الخير تعود بالنفع على العباد أنفسهم: أعداء الإسلام لا يمكن أن يضرّوا الله بشيء، لأنّ الله غنيّ عن عباده. لذا فإنّ أعمال الخير التي تقدّمها ستعود بالنفع عليك أنت فقط.

٧. الجهاد يبدأ بتهذيب النّفوس وتقوية الإيمان: أعداء الإسلام لا يستطيعون مواجهة الإعداد للجهاد الذي يعتمد على تهذيب الأخلاق، تزكية النفوس، إقامة الصّلاة، إيتاء الزكاة.

٨. تقوية مراقبة الله تُصلح العمل والنوايا: يسعى أعداء الإسلام لإبعاد المسلمين عن استشعار مراقبة الله، لكنّ تعزيز هذا الشعور يُصلح النوايا ويُحسن العمل.

٩. الصبر على الأذى سلاح المؤمنين: أعداء الإسلام لن يتوقّفوا عن إيذاء المسلمين، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾، لذا فإن التجلّد على هذا الأذى هو السبيل، والله بصير بعباده.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٨-١٦٩.

من أسماء الله الحسنى: البصير:

شرح الاسم: البصير

- صفة تنكشف بها المسموعات، والمُبصَرات، بل جميع الموجودات.
- لا يغيب عن رؤيته مرئيّ وإن دقّ.
- لا يدفع رؤيته ظلام.
- يرى من غير حدَقة وأجفان.
- المطّلع على خلقه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور، لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد، بل هو بجميعها محيط ولها حافظ ذاكر، فالسّرّ عنده علانية، والغيب عنده شهادة.

التّعلّق باسم الله البصير:

- بالتّوجه إلى مولاك، أن يجعلك على بصيرة في دينه، وبيّنة منه سبحانه.
- أن تستحي من الله وأن تستشعر أنّ الله تعالى يراك، وأن تتّقيه في الخلوات فإنّ الله يراك حيثما تكون ومنه دوام الحياء والمراقبة. فمن علم أنّ ربّه بصير مطّلع عليه، يراه حيث كان، وأنّه مطّلع على باطنه وظاهره سرّه وعلانيته، استحضر ذلك في خلواته، وأوجب له ذلك ترك المعاصي في السّرّ، وهو علامة كمال الإيمان.
- أن يكون همّك التّعرف إلى الله.
- الإخلاص لله ﷻ لأنّ الإخلاص لله تعالى هو نفي الرّياء والسّمعة. فالرّياء هو حبّ أن يراك النّاس، والسّمعة حبّ أن يسمع بك النّاس. لماذا تريد أن ترى النّاس وتسمع بعملك الصّالح؟ لأنّك لم تكتفِ برؤية الله لك، فعليك بالإخلاص! والإخلاص هو أن تعمل العمل تريد به وجه الله وحده.
- إعلم أنّ الله بك بصير: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [1].

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

- استعذ بالله من الحسد، وكن على حذر من أهله ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾.
- بادر إلى الصّلوات الخمس في وقتها، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾.

في الأخلاق والآداب

التّخلُّقُ باسم الله تعالى البصير

- أن تكون بصيرًا بما يطلب منك.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٠.

- من البصير أن يبصّرك الله بعيوبك، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[1]. كلّما زادك علمًا بمعاني لا إله إلا الله، كلّما بصّرك بعيوبك فعرفت من عيوبك ما لم تكن تُدرك، واستغفرت الله تعالى.
- بالتوجّه إليه كي يجعلك على بصيرة من دينه، وبيّنة منه ﷻ.
- أن تقرأ أيّها الإنسان ببصرك كلّ شيء تراه على أنّه اسم من أسماء الله تعالى. فترى في الفضاء اسم الله الواسع، وترى في الشّمس اسم الله النّور، وترى في البحر اسم الله العظيم، وهكذا في ورق الزّيتون، وفي كلّ شيء خلقه الله ﷻ ترى فيه أسماء الله وصفاته ﷻ، ولا تقف عند كلّ ما يعتريك من حوادث، بل انظر إلى المعنى الذي أحبّك الله أن تراه من خلالها، مثال إذا أزعجك تصرّف أحدهم، فلا تتّخذ موقفًا معاديًا، بل أبصر ببصيرتك الرّسالة التي أرسلها إليك لتقرأها، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[2].

الحسد القبيح

مرض خبيث من أمراض النّفوس؛ يغري صاحبه بغمط الحقّ وإنكاره والجحود به، مهما كان بيّنًا مؤيّدًا بالحجج والبراهين.

وبناء على ذلك نلاحظ أنّه قد يكون الحسد من أكبر العوامل التي جعلت اليهود - مثلًا - ينكرون الحقّ الذي جاء به عيسى عليه السلام، ولذلك حاولوا التّخلّص منه - لولا أن نجّاه الله فرفعه إليه - كما فعلوا ببعض أسلافه من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام! وقد خاطبهم الله بهذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[3].

وقد كان الحسد من أكبر العوامل التي جعلت اليهود ينكرون الحقّ الذي جاء به سيّدنا محمّد ﷺ، وبالحسد تآمروا على الرّسول ﷺ ودعوته في حياته، ثمّ تابعوا تآمرهم على الإسلام في عصور التّاريخ الإسلامي - منذ خلافة أبي بكر رضي الله عنه حتّى عصرنا هذا - بألوان مختلفة من التآمر والمكائد.

فالحسد مرض خبيث، وهو من أكبر الأمراض التي تكمن فيها الأسباب الأولى لكثير من الضّلالات الفكريّة والاعتقاديّة.

التوجيهات:

- العفو والصفح من أخلاق المسلمين العظيمة، سواء مع المسلمين، أو مع غيرهم، ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾.

في السّيرة والشّمائل

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمُ اللهُ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى، قَالَ اللهُ

(١) سورة محمّد، الآية: ١٩. (٢) سورة العلق، الآية: ١. (٣) سورة البقرة، ٨٧.

تَعَالَى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾[1] الآيَةَ. وَقَالَ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾[2] فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَأَوَّلُ فِي العَفْوِ عَنْهُمْ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ حَتَّى أَذِنَ لَهُ فِيهِمْ، فَلَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَدْرًا، فَقَتَلَ اللهُ بِهَا مَنْ قَتَلَ مِنْ صَنَادِيدِ الكُفَّارِ وَسَادَةِ قُرَيْشٍ، فَقَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ مَنْصُورِينَ غَانِمِينَ، مَعَهُمْ أُسَارَى مِنْ صَنَادِيدِ الكُفَّارِ، وَسَادَةِ قُرَيْشٍ[3].

في السّلوك

الإشارة: حال أصحاب الإرادة في البداية إذا رغبوا الإشارة، فمن لم يساعده التّوفيق (في الصحبة، وعاشر أناسًا مترسّمين بالظّواهر) فإنّهم يمنعون هؤلاء من السّلوك ولا يزالون يخاطبونهم بلسان النّصح، والتّخويف بالعجز والتّهديد بالفقر حتّى ينقلوهم إلى سبيل الغفلة، ويقطعوا عليهم طريق الإرادة، أولئك مبعدون، أدركهم مقت الوقت. عقوبتهم حرمانهم من أن يشمّوا شيئًا من روائح الصّدق.

﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ﴾[4] فسبيل المريد أن يحفظ عن الأغيار سِرّه، ويستعمل مع كلّ أحدٍ ضلّة، ويبذل في الطّلب رفعة، فعن قريب يفتح الحقّ عليه طريقه.

فالواجب على المريد إقامة المواصلات، وإدامة التّوسل بفنون القُربات، واثقًا بأنّ ما يقدّمه من صدق المجاهدات تُدرك ثمرته في أواخر الحالات ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ﴾[5].

شرح: في بداية الطريق، قد تواجه أصحاب الإرادة عقبات إذا لم يحالفهم التوفيق في اختيار الصحبة. إذا عاشروا أناسًا يهتمون فقط بالمظاهر، فإنّ هؤلاء قد يثبطونهم عن السعي، ويخوّفونهم بالعجز أو الفقر حتّى يبعدوهم عن طريق الإرادة ويشغلوهم بالغفلة. هؤلاء الأشخاص محرومون من صدق القلوب، وعاقبهم الله بحرمانهم من شمّ رائحة الصدق. الله تعالى يقول: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ﴾، وعلى المريد أن يُخفي سرّه عن غير المخلصين، ويتعامل مع كلّ شخص بحذر، وأن يواصل السعي والطلب بصدق وإخلاص. قريبًا، سيفتح الله له الطريق ويوفّقه لما فيه الخير.

الواجب على المريد أن يستمرّ في الأعمال الصالحة ويتوسّل إلى الله بالطاعات، متيقّنًا أنّ كلّ ما يقدّمه من جهد وإخلاص سيجده عند الله. كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ﴾.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

تتأسّى النّفوس بما تشاهده من أحوال من حولها، فإذا كثرت يقظةُ النّاس وطاعاتهم كثُر أهل الطّاعة لكثرة المقتدين بهم فسهُلت الطّاعات، وإذا كثُرت الغفلات وأهلها تأسّى بهم عموم النّاس، فيشقُّ على نفوس المستيقظين طاعاتهم،

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.
(٣) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أسامة بن زيد، كتاب: الأدب، باب: كنية المشرك، حديث رقم: ٦٢٠٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٩. (٥) سورة البقرة، الآية: ١١٠.

لقلّة من يقتدون بهم فيها، ولذا كان للعبادة في زمن الغفلة أجر عظيم، وثواب جزيلٌ، بيّنه النّبيّ ﷺ في حديث مَعْقِل بن يَسَار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»[1].

شرح الحديث:

يخبرنا النّبيّ ﷺ في هذا الحديث العظيم أنّ العبادة في زمن الهَرْج والفتنة والغفلة تعدِل أجر وثواب الهجرة، والهجرة -كما هو معلوم- أعلى الطّاعات منزلة عند الله ﷻ، وازدياد الفتن وشيوعها دليلٌ على قُرب السّاعة، لحديث النّبيّ ﷺ: "إنّ بين يَدَيِ السّاعةِ أيامًا، يُرفَعُ فيها العلمُ، وينزلُ فيها الجهلُ، ويكثُرُ فيها الهَرْجُ"[2] -والهَرْجُ القتلُ- وحديث النّبيّ ﷺ: «يتقارب الزمان، ويُقْبَضُ العِلمُ، وتظهر الفتنُ، ويُلْقَى الشُّحُّ، ويَكثُرُ الهَرْجُ»، قالوا: وما الهَرْجُ؟ قال: «القتل»[3].

يقول المُنَاوِي في فيض القدير: "قوله ﷺ: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ» (أي وقت الفتن واختلاط الأمور) «كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ» في كثرة الثّواب، أو يقال: المهاجر في الأوّل كان قليلًا؛ لعدم تمكُّن أكثر النّاس من ذلك، فهكذا العابد في الهَرْج قليل. قال ابن العربيّ: وجْه تمثيله بالهجرة أنّ الزّمن الأوّل كان النّاس يفرّون فيه من دار الكفر وأهله، إلى دار الإيمان وأهله، فإذا وقَعَت الفتن تعيَّن على المرء أن يفرَّ بدينِه من الفتنة إلى العبادة ويَهْجُر أولئك القوم وتلك الحالة، وهو أحد أقسام الهجرة"[4].

ما جاء من الأحاديث عن الشّياطين المُلجمة التي تظهر في آخر الزّمان فتحرّف الكلم عن مواضعه:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: "إِنَّ فِي الْبَحْرِ شَيَاطِينَ مَسْجُونَةً، أَوْثَقَهَا سُلَيْمَانُ، يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ، فَتَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ قُرْآنًا"[5].

وعنه قال: "يُوشِكُ أَنْ يَظْهَرَ شَيَاطِينُ قَدْ أَوْثَقَهَا سُلَيْمَانُ عليه السّلام يُفَقِّهُونَ النَّاسَ فِي الدِّينِ"[6].

وقال أيضًا: "يُوشِكُ أَنْ تَظْهَرَ شَيَاطِينُ يُجَالِسُونَكُمْ فِي مَجَالِسَكُمْ، وَيُفَقِّهُونَكُمْ فِي دِينِكُمْ، وَيُحَدِّثُونَكُمْ، وَإِنَّهُمْ لَشَيَاطِينُ"[7].

وقِيلَ لِسُفْيَانَ: إِنَّ ابن بِنْتِهِ يَقُولُ: "سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَجْلِسُ فِي مَسَاجِدِهِمْ شَيَاطِينُ يُعَلِّمُونَهُمْ أَمْرَ دِينِهِمْ. قَالَ سُفْيَانُ: قَدْ بَلَغَنَا ذَلِكَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ: "سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَجْلِسُ فِي مَسَاجِدِهِمْ شَيَاطِينُ، كَانَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ قَدْ أَوْثَقَهُمْ فِي الْبَحْرِ، يَخْرُجُونَ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ أَمْرَ دِينِهِمْ» قَالَ سُفْيَانُ: بَقِيَتْ أُمُورٌ عِظَامٌ... يُعَلِّمُونَ النَّاسَ، فَيُدْخِلُونَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ الْأَهْوَاءَ الْمُحْدَثَةَ، فَيُحِلُّونَ لَهُمُ الْحَرَامَ، وَيُشَكِّكُونَهُمْ فِي الْفَضْلِ وَالصَّبْرِ وَالسُّنَّةِ، وَيُبْطِلُونَ فَضْلَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَيَأْمُرُونَهُمْ بِالْإِقْبَالِ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا، وَهِيَ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ"[8].

والآن هل علمتم من هم الشّياطين المُلجمة؟

لقد ظهروا منذ سنوات بأشكال مختلفة في وسائل الإعلام وفي الأفلام، يقرأون أحاديث نبويّة على أنّها قرآن وغير ذلك من أمور الدّين.

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن معقل بن يسار، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: فضل العبادة في الهرج، حديث رقم: ٢٩٤٨.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي موسى، كتاب: الفتن، باب: ظهور الفتن، حديث رقم: ٧٠٦٤.
(٣) رواه البخاريّ ومسلم واللفظ لمسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وقبضه وظهور الجهل، حديث رقم: ١٥٧.
(٤) ذكره المناويّ في فيض القدير، باب: في المحلى بأل من هذا الحرف، (٣٧٣/٤).
(٥) رواه مسلم في صحيحه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، كتاب: مقدمة الإمام مسلم، باب: في الضعفاء والكذابين، حديث رقم: ١٩ من المقدّمة.
(٦) رواه الدارميّ في سننه، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، كتاب: المقدّمة، باب: في الحديث عن الثقات، حديث رقم: ٤٤٢.
(٧) رواه ابن وضّاح في البدع، عن عبد الله بن عمرو، كتاب وباب: فيما يدال الناس بعضهم من بعض، حديث رقم: ٢٢٩.
(٨) رواه ابن وضّاح في البدع، عن سفيان بن سعيد الثوري وعن عبد الله بن عمرو، كتاب وباب: فيما يدال الناس بعضهم من بعض، حديث رقم: ٢٤٠.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((إِذَا اسْتَحَلَّتْ أُمَّتِي خَمْسًا فَعَلَيْهِمُ الدَّمَارُ، إِذَا ظَهَرَ التَّلَاعُنُ، وَشَرِبُوا الْخُمُورَ، وَلَبِسُوا الْحَرِيرَ، وَاتَّخَذُوا الْقِيَانَ، وَاكْتَفَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ)) [١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((كَيْفَ بِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ إِذَا طَغَى نِسَاؤُكُمْ، وَفَسَقَ فِتْيَانُكُمْ؟))، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا لَكَائِنٌ؟ قَالَ: ((نَعَمْ، وَأَشَدُّ مِنْهُ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا تَرَكْتُمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ؟))، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هَذَا لَكَائِنٌ؟ قَالَ: ((نَعَمْ، وَأَشَدُّ مِنْهُ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا، وَالْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا؟))[٢].

نعم ففي السّنوات القليلة الماضية تسارعت عدد من الدّول الأوربيّة إلى الاعتراف الكامل بزواج الشّاذين جِنْسيًا من الرّجال، والسّحاقيّات من النّساء، بعد فوز هذا التوجُّه المنحرف بالتّصويت عليه في البرلمانات الأوربيّة التي تمثل الشّعوب، فأصبحت الممارسات الشّاذّة معترفًا بها قانونًا، ولأصحابها حقوق الزّوجيّة من توثيق عقود الزّواج، وما يترتّب عليها من حقوق وآثار حسب قوانين الأحوال الشّخصيّة. أي أنّ ممارسة الشّذوذ قد انتقلت من كونها ممارسات يُستحيا منها، ومنبوذة عند أكثر الشّعوب الغربيّة، إلى ممارسات مُعْلَنة، يُفَاخَر بها.

ومنذ عام ٢٠٠٠م بدأ زواج الشّاذين جنسيًا يأخذ إطاره القانونيّ في الدّول النّصرانيّة بدءًا بالدنمارك، وهولندا، فبلجيكا، وإسبانيا، وكندا، وجنوب إفريقيا، والنّرويج، والسّويد، والبرتغال، وآيسلندا، والأرجنتين، وأوروغواي، ونيوزلندا، والبرازيل، وبريطانيا، وفرنسا، وبعض الولايات في أمريكا، والمكسيك.

وحتّى في كثير من بلاد المسلمين بدأنا نسمع عن هذا الانحراف الخطير عن الفطرة الربّانيّة، وذلك بسبب ضعف الوازع الدّينيّ عند كثير من النّاس، بالإضافة إلى تأثير مشاهدة الأفلام والصّور الإباحيّة، وغلاء المهور[٣].

عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ، وَلَا يَبْقَى مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ، مَسَاجِدُهُمْ عَامِرَةٌ وَهِيَ خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى، عُلَمَاؤُهُمْ شَرُّ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِهِمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ وَفِيهِمْ تَعُودُ))[٤].

وهو ما نشهده اليوم وللأسف، فالقرّاء يُجيدون تجويد حروف القرآن وإتقان ألفاظه دون التّفكّر في معانيه والعمل بمقتضاه، ويجتمعون في المساجد لا للعبادة والذّكر وتدريس العلوم لوجه الله، لذا فهي خراب من الهدى، لفساد علماء السّوء الذين يفتنون النّاس ببدعهم وضلالتهم التي تستقرّ فيهم وتتمكّن منهم.

في الأدعية والأذكار

اللهمّ أرنا الحقّ حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، ولا تجعلنا ياربّنا ممّن قلت فيهم ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [٥]

(١) رواه البيهقيّ في شعب الإيمان، عن أنس بن مالك، كتاب وباب: تحريم الفروج، وما يجب من التعفّف، الحديث حسن لغيره، حديث رقم: ٥٠٨٦.
(٢) رواه أبو يعلى في مسنده، عن أبي هريرة، مسند: أبي هريرة، مسند: شهر بن حوشب، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٦٤٢٠.
(٣) ذكره صهيب عبد الجبّار في الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، كتاب: علامات الساعة الصغرى، باب: من علامات الساعة الصغرى استحلال هذه الأمة ما حرّم الله عليها، (٣٢٤/٢).
(٤) رواه البيهقيّ في شعب الإيمان، عن عليّ، كتاب: نشر العلم، باب: وينبغي لطالب العلم أن يكون، حديث رقم: ١٧٦، الحديث حسن لغيره.
(٥)سوره الكهف: آية ١٠٤